Abhat Journal, Volume. 18, Issue. 2, September 2026

Abhat Journal, Faculty of Arts, Sirte University مجلة أبحاث بكلية الآداب جامعة سرت
Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/ABHAT/index
https://doi.org/10.37375/aj.v18i2.4310

البُعد الإيكولوجي ونسق الاتكاء
في شعر عنترة بن شداد

د. مسلم بن عبيد الرشيدي
أستاذ مشارك بقسم العلوم العامة، كلية العلوم والدراسات الإنسانية
جامعة الأمير سلطان، الرياض– المملكة العربية السعودية.
msm20092@gmail.com

الملخص:

لم تكن بيئة نجدٍ بسهولها الواسعة، وسمائها الصافية، وصحاريها الحارة مجرد مكان ولد فيه الشاعر، بل كانت مشكِّلًا رئيسًا لهويته، وموضوعاته، وأخيلته؛ فتؤثر به ويتأثر بها، وتمده بمادتها الخام من الصور والمعاني التي تناسب طبيعة البيئة، الأمر الذي دفع الباحث إلى دراستها في بحثه الموسوم "البُعد الإيكولوجي ونسق الاتكاء في شعر عنترة بن شداد"، فهو مصطلح يشير إلى العلاقة التفاعلية والمتبادلة بين الكائنات الحية بما فيها الإنسان وبيئتها الطبيعية.

قُسِّمت الدراسة إلى مقدمة تناولت حياة الشاعر والنقد البيئي. ففي القسم الأول، المعنون "بيئة الاعتماد على المكان والوقوف عليه في بيئة الصحراء الطبيعية"، تناولتُ كيفية توظيف الشاعر لهذا العنصر للتعبير عن حزنه وأساه. أمّا القسم الثاني فجاء تحت عنوان "بيئة الاعتماد على الحيوانات والموارد البيئية الأخرى". وأخيرًا عرضتُ النتائج التي توصّل إليها البحث، وأُتبعت بقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية:

الإيكولوجي، النسق، الاتكاء، المكان.

معلومات النشر:
تاريخ الاستلام: 2026/07/31
تاريخ القبول: 2026/08/23
تاريخ النشر: 2026/09/01

The Ecological Dimension and Patterns of Reliance in the Poetry of Antarah ibn Shaddad

Dr. Muslm Obaed F Al-Rashedi
Associate Professor, Department of General Sciences, College of Science and Humanities
Prince Sultan University, Riyadh - Kingdom of Saudi Arabia..
msm20092@gmail.com

Abstract:

The environment of Najd with its vast plains, clear skies, and scorching deserts was not merely the place of the poet's birth; rather, it was a formative influence on his identity and imagination. He was deeply affected by it, drawing upon its raw material of imagery and themes that resonated with its natural character a fact that prompted me to undertake the study titled "The Ecological Dimension and the Pattern of Reliance in the Poetry of Antarah ibn Shaddad". It is a term referring to the interactive and reciprocal relationship between living organisms including humans and their natural environment.

The study is divided into an introduction that addresses the poet's life and ecocriticism. The first section, titled "The Environment of Place-Attachment and Stationing at the Site within the Natural Desert Landscape," examines how the poet employs this element to express his sorrow and grief. The second section is titled "The Environment of Reliance on Animals and Other Environmental Resources." Finally, I present the study's findings, followed by a list of sources and references.

Keywords:

Ecology,The Pattern, Leaning, The Place.

Information:
Received: 31/07/2026
Accepted: 23/08/2026
Published: 01/09/2026

©Abhat Journal, Sirte University 2026

مقدمة:

لم تكن بيئة نجدٍ بسهولها الواسعة، وسمائها الصافية، وصحاريها الحارة مجرد مكان ولد فيه الشاعر، بل كانت مشكِّلًا رئيسًا لهويته، وموضوعاته، وأخيلته؛ فتؤثر به ويتأثر بها، وتمده بمادتها الخام من الصور والمعاني والأوزان التي تناسب طبيعة بيئته، الأمر الذي دفع الباحث إلى دراستها في بحثه الموسوم (البُعد الإيكولوجي ونسق الاتكاء في شعر عنترة بن شداد)، على اعتبار أنّه أشهر شعراء بيئة نجد في الجاهلية، فضلًا عن محاولة الكشف عن الأنساق البيئية التي تشكّل بيئة النص الشعري عنده، وتظهر أنّ عناصر الطبيعة في شعر عنترة مثل الصحراء، والمطر، والنجوم، والجبال، والحيوانات... لم تكن مجرد خلفية وصفية، بل شكّلت سندًا وجوديًا ودلاليًا للشاعر في رسم البيئة، ويشكّل مفهوم "البُعد الإيكولوجي" حجر الزاوية في فهم الخصائص الفنية والموضوعية للشعر، عبر عصوره المختلفة، وهو مفهوم نقدي حديث يحاول ربط الإبداع الشعري بظروفه الجغرافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والقبلية، مما يفسّر أسباب الاختلاف بين شعراء البيئات المختلفة.

وقُسِّم البحث إلى تمهيد تحدث عن حياة الشاعر والتعريف بالنقد الإيكولوجي، ودرس المبحث الأول "إيكولوجيا الاتكاء على المكان والوقوف عليه في بيئة الصحراء الطبيعية" وعرض اتكاء الشاعر عليه في تعبيره عن أحزانه، ثم يأتي المبحث الثاني المعنون بـ "إيكولوجية الاتكاء على الحيوانات ومصادر البيئة الأخرى"، وفي الخاتمة ذُكرتْ أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، فضلًا عن قائمة المصادر والمراجع التي استعان بها الباحث.

مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها:

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما العوامل التي تأثر بها عنترة بن شداد، وما موقفه منها؟
- ما هي الموضوعات التي اتكاء عليها الشاعر في قصائده؟
- ما موقف الشاعر من البيئة الإيكولوجية المحيطة به؟

أهمية الدراسة:

إنّ الأدب بصفةٍ عامة تعبير لواقع الشاعر، ويختار منه ما يلائم رغبته في الكشف عن العمل الشعريّ، وهو إبداع يتشكّل نتيجة لواقعه في الحياة، وقد تنوعت قصائد عنترة بن شداد، وتعددّت مضامينها بتعدّد القضايا الحربيّة والاجتماعيّة التي تناولتها، بالإضافة إلى همومه الذاتيّة، ومن هنا تكمن أهميّة هذه الدراسة فهي تكشف لنا عن موقف عنترة من حركة المجتمع الجاهلي من ناحية، وتعمّق فهمنا لذلك المجتمع من ناحية ثانية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بيان العوامل الّتي أثرت في قصائد عنترة بتحليلها، وبيان موقفه، وربط ذلك بحركة المجتمع الجاهلي في ذلك العصر، وكيّف تأثر بها في تشكيل الأدوات الفنيّة في قصائده من حيث الأساليب الفنيّة والصور والأخيلة.

الدراسات السابقة:

ثمّة دراسات عدّة تناولت حياة عنترة وشعره، غير أنّ لباحث لم يجد في –حدود اطّلاعه– دراسة تناولت البُعد الإيكولوجي ونسق الاتكاء في شعره، غير أنّ ثمّة دراسات تقع في مجال هذه الدراسة، منها:

– بنيوي، نجمة، الأنساق الثقافية في شعر عنترة بن شداد: رسالة ماجستير، إشراف: هاجر بكاكرية، معهد الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر.

– الصباح، مُحَمَّد علي، عنترة بن شداد حياته وشعره، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990.

وغير ذلك من الدراسات والبحوث الأخرى، أمّا هذه الدراسة فستتناول نمطًا محدّدًا من الشعر في ديوان عنترة، وهي البُعد الإيكولوجي ونسق الاتكاء في شعره، وأساليبه المختلفة.

منهج البحث:

تفيد هذه الدراسة من مناهج متعددة حسب ما تستدعيه القضايا المطروحة في البحث، فهي تفيد من المنهج الاجتماعي والتاريخي والنفسيّ في دراسة القضايا الحربيّة والاجتماعيّة التي تناولها الشاعر، كما تفيد من الدراسات الإيكولوجية الاجتماعية، والإيكولوجية الفلسفية، والإيكولوجية النسوية، والإيكولوجية الثقافية، والإيكولوجية النفسية، وتقع الدراسة في تمهيد، ومبحثين، وخاتمة على النحو الآتي:

التمهيد: الحديث عن حياة الشاعر والتعريف بالنقد الإيكولوجي.

المبحث الأول: "إيكولوجيا الاتكاء على المكان والوقوف عليه في بيئة الصحراء الطبيعية"، عرض اتكاء الشاعر عليه في تعبيره عن أحزانه.

المبحث الثاني: "إيكولوجية الاتكاء على الحيوانات ومصادر البيئة الأخرى" عرض اتكاء الشاعر على الحيوانات من ترحال وتنقل، أمّا المصادر الأخرى من أنواع البيئة، ومنها: النباتات والمطر والرياح والأجرام السماوية فعلى اعتبارها فواعل دلالية في البيئة.

التمهيد:

أولًا: حياة الشاعر:

أشارت المصادر إلى عدد من الشعراء في العصر الجاهلي، ومن أشهرهم الشاعر والفارس عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي، وقد جاء اسمه (عنتر) بدون التاء المربوطة في بعض المصادر، (التبريزي، 1992، ص7) وأمّه حبشيّة تدعى زبيبة، ونشأ في منطقة نجد، قبل الإسلام عام (525م – 615م) تقريبًا، وكان أبوه سيد قومه وقد نفاه عن نسبه، وكانت العرب في الجاهلية إذا كان لأحدهم ولد من أمّ (جارية) استعبده، ثم ادَّعاه بعد الكبر واعترف به وألحقه بنسبه، ولذلك استطاع عنترة التعويض عمّا أصابه من العبودية بسبب لونه عندما نال شهرة واسعة في الفروسية والشجاعة التي ظهرت بقوة في حرب داحس والغبراء، (التبريزي، 1992، ص6)، فقال: (التبريزي، 1992، ص191)

أنا العبد الذي بديار عبس ربيت بعزة النفس الأبية

وأنا الأسود والعبد الذي يقصد الخيل إذا النقع ارتفع

وكان عنترة معروفًا بين العرب بالشجاعة والقوة، وقد عدّ من أشهر الفرسان والشعراء آنذاك، فقال: (التبريزي، 1992، ص19)

يدعُونَ عنترَ والرّماحُ كأنّها أشطانُ بئر في لبَان الأدهمِ

وقال أيضًا: (التبريزي، 1992، ص135)

حِصاني كانَ دَلّالَ المِنايا فَخـاضَ غُبـارَها وَشَرى وَباعَ

وَسَيفي كانَ في الهَيجا طَبيباً يُداوي رَأسَ مَن يَشكو الصُداعا

مَلَأتُ الأَرضَ خَوفاً مِن حُسامي وَخَصمي لَم يَجِد فيهـا اِتِّساعا

إِذا الأَبطالُ فَرَّت خَوفَ بَأسي تَرى الأَقطارَ باعـاً أَو ذِراعا

ونجد أنّ عددًا كبيرًا من الرواة ذكروا أخلاق عنترة التي كانت تتجلّى فيها قوة عاطفته ورقة قلبه، رغم قسوة الحياة التي كان يعيش فيها؛ إلّا أنّه كان على قدرٍ عالٍ من عفة النفس، ومن ذلك قوله: (الخوري، 1893، ص68)

وَلَقَد أَبِيتُ عَلَى الطَّوى وَأَظَلُّهُ حَتّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَأكَلِ

وقال عن حسن الجوار وعفّة النفس: (الخوري، 1893، ص93)

وَأَغَضُّ طَرفي ما بَدَت لي جارَتي حَتّى يُواري جـارَتي مَأواهـا

إِنّي اِمرُؤٌ سَمحُ الخَليقَةِ ماجِدٌ لا أُتبِعُ النَفسَ اللَجوجَ هَواها

ومن الأخلاق العالية التي كان يتحلى بها الترفع عن الفواحش، فقال: (الخوري، 1893، ص10)

لَئِن أَكُ أَسوَداً فَالمِسكُ لَوني وَما لِسَوادِ جِلدي مِن دَواءِ

وَلَكِن تَبعُدُ الفَحشاءُ عَنّي كَبُعدِ الأَرضِ عَن جَوِّ السَماءِ

أمّا شعره فقد امتاز بالرّقّة والألفاظ العذبة؛ فلا تخلو قصائده من ذكر محبوبته عبلة التي نقلت المصادر قصة حبّه العفيف لها، وهي عبلة بنت مالك، ابنة عمّ عنترة بن شداد، ولهذا ارتبط اسمها معه في كثير من الأخبار والأشعار المنسوبة إليه، ومن ذلك قوله: (الخوري، 1893، ص80)

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعَمِي صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي

وقال أيضًا: (الخوري، 1893، ص92)

يا عَبلُ أَينَ مِنَ المَنِيَةِ مَهرَبي إِن كانَ رَبّي في السَماءِ قَضاها

وتشير بعض المصادر إلى أنّ زواجه منها واجه صعوبات نسبت إلى موقف والدها مالك وأخيها عمرو، عندما تقدم عنترة إلى عمه مالك يخطب ابنته عبلة، فرفض أنْ يزوج ابنته من رجل أسود، لكن إنّه طلب منه تعجيزًا له وسدًا للسبل في وجهه ألف ناقة من نوق النعمان المعروفة بالعصافير مهرًا لابنته، ويقال: إنّ عنترة خرج في طلب عصافير النعمان حتى يظفر بعبلة، وإنّه لقي في تحقيق هذا الطلب أهوالًا جسامًا، ومنها وقوعه في الأسر، ثم تحقق هذا الحلم في النهاية، وعاد إلى قبيلته ومعه مهر عبلة ألفًا من عصافير الملك النعمان.

وفاته:

انتهت حياة عنترة بعد أنْ بلغ من العمر تسعين عامًا تقريبًا، فقد ذكرت بعض المصادر أنّ وفاته كانت في عام 615م تقريبًا، ونقل بعض الرواة عدد من الأخبار عن سبب وفاته، بطريقة لا يقبلها العاقل البصير؛ ومن هذه الأخبار أنّه أغار على بني نبهان من طي فطرد لهم طريدة وهو شيخ كبير؛ فجعل يرتجز وهو يطردها، ويقول: آثار ظُلمان بقاعٍ محربٍ.

وقيل أيضًا: كان زرّ (وقيل وزر) بن جابر النبهاني في فتوّة، فرماه وقال: خذها وأنا ابن سلمى، فقطع مطاه (أي ظهره)، فتحامل بالرمية حتى أتى أهله، فقال وهو مجروح: (الخوري، 1893، ص6)

وإنّ ابن سلمى عنده فاعلموا دمي وهيهات لا يُرجى ابن سلمى ولا دمي

يحلّ بأكناف الشعاب وينتمي مكان الثريّا ليس بالمتهضّم

رماني ولم يدهش بأزرق لهذمٍ عشيّة حلّوا بين نعفٍ ومخرمِ

ولذلك نجد أنّ خبر وفاته مخالف للصواب لعدد من الأسباب، ومنها:

أنّ عنترة بن شداد كان شيخ كبير، قد بلغ من العمر التسعين عام، وبهذا العمر لا يستطيع ركوب الخيل ولا القتال.

وكذلك جاءت بعض الروايات تذكر أنّه مصاب بظهره، ومع

ذلك ركب الفرس وذهب إلى أهليه، وهذا أمرًا لا يقبله العقل، ثم ذكر أبيات جاءت على لسان عنترة، يطلب فيها الثأر مبني نبهان وهو يحتضر، وهذا الأمر أيضًا غير مقبول؛ لأنّ هذه الأبيات لا يصح نسبتها إلى الشاعر عنترة بن شداد، وذلك لضعف مستوى نسق الألفاظ، والتراكيب الدلالية، التي لا تصل إلى قوة قصائد الشاعر عنترة.

وبعد التحقق من دراسة بعض المصادر الأخرى التي ذكرت وفاة عنترة وهي توافق الواقع ويقبلها العقل، أنّه عجز عن المعارك والقتال لكبر سنه، وفي ذات يوم ذهب يطلب إبله عند رجل بين شرج وناظرة، ثم جاءته ريح شديدة، ومات بسبب البرد، ودفن في جبال العلم الواقعة جنوب منطقة حائل.

ثانيًا: التعريف بالنقد الإيكولوجي:

من المناهج النقدية الحديثة في نظرية الأدب الذي أخذ بالانتشار في ثمانينيات القرن العشرين مع أعمال لورنس بويل، الذي عرّفه بدراسة العلاقة بين الأدب والطبيعة الفيزيائية، وفي الولايات المتحدة الأمريكية برز على يد الناقد (ويليام روكيرت) الذي صب اهتمامه على دراسة العلاقة التفاعلية بين الإنسان والطبيعة المحيطة به (بومنجل، 2023)، فهو مصطلح يشير إلى العلاقة التفاعلية والمتبادلة بين الكائنات الحية بما فيها الإنسان وبيئتها الطبيعية (بلغليفي وقوت، 2015، ص227). ولأنّ الفكر الإيكولوجي يهتم بدراسة العلاقات بين الكائنات ضمن منظومتها البيئية، نتج عن هذا ظهور حركات متنوعة ومنها: الإيكولوجية الاجتماعية، والإيكولوجية الفلسفية، والإيكولوجية النسوية، والإيكولوجية الثقافية، والإيكولوجية النفسية (السيد، 1997، ص215). يمكن تعريفه بأنّه محاولة حدسية للتناغم مع العالم (الشعر الإيكولوجي، فيكتور بوستنيكوف).

نسق الاتكاء: بما أنّ الدراسة الإيكولوجية تعمل على تفكيك سنن النص ومرجعياته عن طريق النظر إلى أنساق الاتكاء بوصفها عملية اتصالية تتضمن عنصرين رئيسين هما القارئ والمقروء... وبما أنّ نسق الاتكاء هو أداة وآلية نقدية وثقافية يلجأ إليها الشاعر للاستناد إلى مرجعية فكرية أو موروث أو نص آخر مثل الجبال أو الصحاري أو النجوم أو الحيوانات ليؤسس عقدًا ذهنيًا مشتركًا بين الشاعر والمتلقي (الكاصد، 2020).

المبحث الأول: إيكولوجيا الاتكاء على المكان والوقوف عليه في بيئة الصحراء الطبيعية.

تركت البيئة أثرًا واضحًا لدى عنترة، وامتزجت به، وتفاعلت مع ذاته وذكرياته ومشاعره وأفكاره؛ فأثرت فيه من جهة وتأثر بها من جهة ثانية، فقد كانت البيئة وما زالت وثيقة الصلة بالشعر والشعراء منذ القدم إلى يومنا هذا، فهي تشكّل عاملًا لتحريك شاعريته بعلاقة التلازم التي تسهم في تداعي الذكريات، وتفضي إلى إبراز منجز شعري يشكل مقياسًا ويشير إلى علاقة الشاعر وتعلقه بالبيئة وما يحمله من ذكريات وأشجان، ومواطن الحبيبة، أو الموضع الذي رحل عنه الشاعر (كبير، 2021، ص192). وتجاوزت البيئة الحد الجغرافي والوصفي إلى ما يسميه باشلار "سمات المأوى التي تبلغ حدًّا من البساطة، ومن التجذر العميق في اللاوعي، ويجعلها تُستعاد بمجرد ذكرها أكثر مما تُستعاد من خلال الوصف الدقيق لها" (باشلار، 2006، ص42). وعليه لم تَعدْ البيئة عند عنترة مجرد مساحات وفراغات بل تعدتها إلى الخيال اللامتناهي بالاتكاء عليها (الخوري، 1893، ص 11).

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِن مُتَرَدِّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ
أعياك رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأعجم
يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعَمِي صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي

ما يمكن ملاحظته في هذه الأبيات أنّ عنترة رفع البيئة إلى مرتبة الكائن الحي، واتكأ على البيئة المكانية للتعبير عن حزنه (يا دار عبلة بالجواء)، وهو موضع في نجد، ومحاولة استنطاق المكان والاستئناس به من خلال "تكلمي وأخبريني بأخبار الأحبة"، وكيف هي أحوالهم بإيقاع حركي فيه تأمل وحزن لغياب الأحبة ورحيلهم عنه، بإشارة واضحة على قوة العلاقة بين الشاعر والبيئة التي يختزنها في ذاكرته، ويستذكرها ويتغنى بها ويجعلها منطلقه ومنتهاه في تشكيل نصه الشعري البيئي؛ فالعلاقة بين الشاعر والبيئة علاقة عميقة الجذور، متشعبة الأبعاد، ومن خلالها قد يضفي الشاعر على بيئة ما طابعًا خاصًا، فيحولها من مسكن خراب إلى طلل مثير للدهشة، ومن حجر أصم إلى شاهد على لحظات مجد (درويش، 1996، ص84)، وقد اعتاد عنترة ما اعتاد عليه الشعراء الجاهليون في افتتاح قصائدهم بأسلوب الاستفهام "وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، وذلك بأداة من أدواته" (الهاشمي، د.ت، ص78)؛ الأمر الذي يمنح النص أبعادًا تساؤلية وانفتاح الذهن لاستحضار ما يزيل اللبس إذا كان الخطاب موجهاً للنفس أم لإشراك المتلقي به، فقال: (الخوري، 1893، ص 26)

أَعاذِلَ كَم مِن يَومِ حَربٍ شَهِدتُهُ لَهُ مَنظَرٌ بادي النَواحِذِ كالِحُ
فَلَم أَرَ حَيّاً صابَروا مِثلَ صَبرِنا وَلا كافَحوا مِثلَ الَّذينَ نُكافِحُ
إِذا شِئتُ لاقاني كَميٌّ مُدَجَّجٌ عَلى أَعوَجِيٍّ بِالطِعانِ مُسامِحُ

نُزاحِفُ زَحفاً أَو نُلاقي كَتيبَةً تُطاعِنُنا أَو يَذعَرُ السَرحَ صائِحُ
فَلَمّا اِلتَقَينا بِالجِفارِ تَصَعصَعوا وَرُدَّت عَلى اعقابِهِن المسالِحُ
إِذا ما مَشَوا في السابِغاتِ حَسِبتَهُم سُيولاً وَقَد جاشَت بِهِنَّ الأَباطِحُ
فَأَشرَعتُ راياتٍ وَتَحتَ ظِلالِها مِنَ القَومِ أَبناءُ الحُروبِ المراجِحُ
وَدُرنا كَما دارَت عَلى قُطبِها الرُحى وَدارَت عَلى هامِ الرِجالِ الصَفائِحُ

بما أنّ أرض المعركة لها علاقة وطيدة بالبيئة، لما تحتوي من أماكن توجد فيها شخصيات قوية، فقد عمد عنترة إلى مخاطبة الصحراء والماء والشجر، من خلال الاتكاء على العاذلة، وهي كناية عن حاسديه الذين يلومونه، ويحاول في النص استدعاء واستعراض الحروب التي خاضها والمعارك التي شهدها، وفي المقابل يسخر من العواذل بأنّهم متكئون على أسرتكم في لهوكم ومجونكم، ويواصل عنترة وصف بيئة المعركة وشجاعة قومه والاتكاء على الجفار (مكان به ماء لبني تميم وضبة) الذي التقى به الجمعان، وتضعضع جيش العدو، مثل: الإبل التي تفر إذا صاح بها صائح، ولم يقف أمر الهزيمة إلى هذا الحد، بل اتكأ الشاعر على (المسالح) وهي الأماكن التي تتخذ لوضع أسلحة الجنود في مقدمة الجيش، ثم تركت أماكنها وهربت مع الذين هربوا، وإنّ بيئة المعركة تكون بيئة شاعرية عندما يحقق الشاعر مبتغاه في وصف شجاعته وبطولته كونها رافدًا للرؤية الوجودية تمد الشاعر بأدوات التشبيه والقياس، فالصحراء مرآة للصبر، والمطر رمز للكرم، والنجوم معيار للثبات (الصالحي، 2022).

فقال: (الخوري، 1893، ص 96-97)

طَرَقتُ دِيارَ كِندَةَ وَهيَ تَدوي دَوِيَّ الرَعدِ مِن رَكضِ الجِيادِ
وَبَدَّدتُ الفَوارِسَ في رُباها بِطَعنٍ مِثلِ أَفواهِ المزادِ
وَخَثعَمُ قَد صَبَحناها صَباحاً بُكوراً قَبلَ ما نادى المنادي
غَدَوا لَمّا رَأَوا مِن حَدِّ سَيفي نَذيرَ الموتِ في الأَرواحِ حادي

ما ينبغي الإشارة إليه أنّ الشاعر قد وظّف مشاهد خيالية لبيئة حربية بالاتكاء على بيئة (ديار كندة) لتعميق أحوال الحرب والأحداث التي دارت بينهم، فهو يصوّر الهجوم على قبيلة كندة في عقر دارهم، فكانت هذه الديار في حالة ذعر وخوف، وتعالت أصوات الفرسان من بني عبس مثل (الرعد) ممّا زرع الخوف والذعر في نفوس أعدائهم، وبعد أنْ قضوا على فرسان قبيلة كندة، ذهبوا إلى قبيلة (خثعم) واتخذوا معهم نفس الأسلوب، ونلحظ أنّ عنترة خلق كينونته الشجاعة بصورة جميلة تجمعه مع أبناء قبيلته حين قال: (وخثعم قد صبحناها صباحًا) أي صبحوا على أصوات الخيل وقعقعة الفرسان من بني عبس، ويبدو أنّ ألفاظ البيئة لعبت دورًا أساسيًا في تصوير مشاهد حربية تعكس بُعدًا نفسيًا تلائم مع ما أراد الشاعر تصويره للمتلقي من شجاعته وشجاعة قومه.

ونجد أنّ الأثر النفسي للون الأسود قد برز بروزًا واضحًا في شعره، فتخلق له عنترة عالمًا محدودًا بأبعاده وتفاصيله من البيئة الإيكولوجية المحيطة به، لعله يخلصه من حالته النفسية بسبب التسقيط من قِبل المجتمع إليه، فالبيئة الطبيعية تعيد التوازن النفسي إليه، مما تشعره بالارتياح وإعطاء فرصة للتأمل والإبداع، فقد أولى الشاعر جل عنايته بتفريغ ما يجول في ذهنه من أفكار ومعانٍ وتجارب شعورية مرّ بها، من خلال مشاركة البيئة أحزانه.

المبحث الثاني: إيكولوجية الاتكاء على الحيوانات ومصادر البيئة الأخرى.

أولًا: الاتكاء على الحيوانات:

يُعدّ الاتكاء على الحيوانات وركوب الخيل والناقة وصيد الظباء، والبقرة الوحشية، والطيور وغيرها من الأساليب التي عمدها عنترة بن شداد في شعره، ونجد أنّ الغاية منها "الانتقال من الذاكرة إلى عالم الواقع الحسي" (الجادر، 1979، ص326) وكذلك مواجهة الصراع مع الواقع، فضلًا عن أنّ الاتكاء على الحيوان يعود إلى طبيعة البيئة والحياة العربية القائمة على الترحال والتنقل، وهذا ما جعلها تنعكس على نصوصه الشعرية، فالنصوص الشعرية ما هي إلّا تعبير بالألفاظ عن عصارة الأفكار، والعواطف والمواقف، ومع مرور الزمن أصبح الاتكاء على الحيوان "وسيلة الشاعر وأداته التي يستعين بها على بلوغ الهدف في مواقف الصراع" (الجادر، 1979، ص327).

فقال: (الخوري، 1893، ص 78)

وَلَقَد ناحَ في الغُصونِ حَمامٌ فَشَجاني حَنينُهُ وَالنَحيبُ
باتَ يَشكو فِراقَ إِلفٍ بَعيدٍ وَيُنادي أَنا الوَحيدُ الغَريبُ
يا حَمامَ الغُصونِ لَو كُنتَ مِثلي عاشِقاً لَم يَرُقكَ غُصنٌ رَطيبُ
فَاِترُكِ الوَجدَ وَالهَوى لِمُحِبٍّ قَلبُهُ قَد أَذابَهُ التَعذيبُ
كُلَّ يَومٍ لَهُ عِتابٌ مَعَ الدَهرِ وَأَمرٌ يَحارُ فيهِ اللَبيبُ

بعد أنْ بث الشاعر في بداية قصيدته صور الحياة في البيئة الصحراوية، بدأ الاتكاء على الحمام لبث صورة مشهدية تعبر عن لوعته وغرامه، حين رأى الحمام ينوح فوق الأغصان، فأشعل في قلبه نار الفراق، ولم يرمِ الشاعر إلى رسم مشاهد البيئة الإيكولوجية فقط، بل رام إلى تجسيد خذلان الحمام؛ لأنّه اكتفى بالنوح على الأغصان دون السعي للقاء الحبيب، فوصفه بعدم صدق المشاعر والأحاسيس، ولو كان صادقًا لسعى للقيا محبوبته، وذلك معنى قوله (لم يرقك غصن

رطيب)، ويطلب من الحمام أنْ يترك العشق لمن هو أهل له مثل عنترة الذي ذاب قلبه من ألم الفراق، فقد عمد الشاعر في هذه الأبيات إلى الاتكاء على الحمام؛ وذلك لرسم الجانب الحزين للمتلقي، وليظهر إزاءه شخصيته القوية والصلبة لمواجهة الصعاب والأحزان.

وقال عنترة: (الخوري، 1893، ص26)

طَرِبتَ وَهاجَتكَ الظِباءُ السَوارِحُ غَداةَ غَدَت مِنها سَنيحٌ وَبارِحُ
تَغالَت بِيَ الأَشواقُ حَتّى كَأَنَّما بِزَندَينِ في جَوفي مِنَ الوَجدِ قادِحُ
وَقَد كُنتَ تُخفي حُبَّ سَمراءَ حِقبَةً فَبُح لِانَ مِنها بِالَّذي أَنتَ بائِحُ
لَعَمري لَقَد أَعذَرتُ لَو تَعذِرينَني وَخَشِّنتِ صَدراً غَيبُهُ لَكَ ناصِحُ
أَعاذِلَ كَم مِن يَومِ حَربٍ شَهِدتُهُ لَهُ مَنظَرٌ بادي النَواجِذِ كالِحُ

لقد رسم الشاعر في هذه الأبيات أبعاد الحيز الإيكولوجي للبيئة التي حل بها؛ فقد كان التفاؤل والتشاؤم من العادات الإيكولوجية في البيئة العربية ومنتشرة بشكل كبير في الجاهلية، فكان من مظاهر التفاؤل عند العرب إذا خرج للصيد أو للحرب ومر على يمينه حيوان يكون مبعثاً للخير ويسمى السانح، أمّا إذا مرّ على يساره حيوان يكون مبعث شر يسمى البارح، والشاعر يصور لنا التفاؤل حسب إيكولوجية الأعراف العربية، وعندما كان سائرًا لغزو بني ضبة وتميم مر على يمينه بعض الظباء وهذا مبعث للتفاؤل وتبشير بالنصر، ولكن على الرغم من تحقيق النصر في المعركة، نلمس اعتماد الشاعر على قافية الحاء (بارح، سانح، قادح، ناصح، كالح، بائح) تدل على اهتياج الذكريات التي تبعث الحزن، لينتهي الأمر بأنّ عنترة في حالة حزن وغربة واشتياق، وطيف الحبيبة لا يغيب عنه حتى وهو في ساحة المعركة.

وقال أيضًا في وصف شجاعته متكئًا على الإيكولوجية الحيوانية (الخوري، 1893، ص83).

وَلَم يَهجِم عَلى أُسدِ المَنايي وَلَم يَطعَن صُدورَ الصافِناتِ
وَلَم يَقرِ الضُيوفَ إِذا أَتَوهُ وَلَم يُرِوِ السُيوفَ مِنَ الكُماةِ
وَلَم يَبلُغ بِضَربِ الهامِ مَجداً وَلَم يَكُ صابِراً في النائِباتِ
فَقُل لِلناعِياتِ إِذا نَعَتهُ أَلا فَاقصِرنَ نَدبَ النادِباتِ
وَلا تَندُبنَ إِلّا لَيثَ غابٍ شُجاعاً في الحُروبِ الثائِراتِ
دَعوني في القِتالِ أَمُت عَزيزاً فَمَوتُ العِزِّ خَيرٌ مِن حَياةِ
لَعَمري ما الفَخارُ بِكَسبِ مالٍ وَلا يُدعى الغَنِيُّ مِنَ السَراةِ

البيئة مصدر إلهام الشاعر، يتعاطف معها، ويصور ما ينعكس منها بانطباعات يسجلها شعرًا، ومن هذا المنطلق استمد عنترة جل ألفاظه ولغته من إيكولوجية البيئة، إذ إنّه استرفد هذه الألفاظ ليتيح تصوير واقع الحياة وسلوك العيش القائمة على التفرقة بين أفراد القبيلة من جهة، ومن جهة أخرى تجسيد معالم الواقع البيئي الذي يعيش فيه، ففي الأبيات أعلاه يكشف عنترة شمائل وأخلاق الرجال الشجاعة والبطولة والكرم في البيئة العربية متكئًا على (أسد المنايا) في وصف المعارك والحروب، فضلًا عن أنّه يوجه خطابه إلى الفرسان الذين يركبون الخيول العربية الأصيلة (الصافنات) أنْ يكرموا ضيوفهم إذا نزلوا عندهم ولا يقصروا معهم في طعام أو شراب أو مبيت، وفي المقابل يصور الصفات المرفوضة في البيئة العربية عدم الرضا بالحياة المقرونة بالذل والقهر والخضوع والبخل والجبن، ومن هنا جاء اتكاء الشاعر على الحيوان في شعره ليكشف الستار عن هاجس القلق الذي استملك قلبه بسبب البعد عن الحبيبة من جهة، والإقصاء القبلي من جهة أخرى.

ونجد أنّ ألفاظ البيئة الحيوانية طغت في نصوص عنترة الشعرية، فكثيرًا ما نراه يشحن ألفاظه من البيئة الإيكولوجية الحيوانية ليضع بين يدي المتلقي ملامح حياة البيئة الصحراوية الخشنة الجافة التي عاشها بين رمال الصحراء وحرارة الشمس ولفح السموم، حتى غدت قرينة الهوية والذاكرة، ومن النقد الإيكولوجي تبيّن أنّ فهم النصوص، لا يتحقق إلّا بوعي عميق ببيئتها الأصلية، إذ إنّ البيئة ليست خلفية خاملة، بل روحًا فاعلة تصوغ وجدان الشاعر، وتوجه عاطفته وتشكل صوره الشعرية.

ثانيًا: مصادر البيئة الأخرى باعتبارها من الفواعل الدلالية:

يُعدّ الاتكاء ببيئة النباتات والأمطار والأجرام السماوية سمة بارزة في الشعر العربي القديم عمومًا وشعر عنترة خصوصًا؛ لِمَا لها من أهمية في تحريك وجدانهم وإثارة مشاعرهم، فانطلقت ألسنتهم في مختلف المناسبات، ولعل ذلك كان سببًا في تعدد أغراض القصيدة الجاهلية، الأمر الذي دفع الشعراء لنظم الشعر في أغراض مختلفة (الجندي، 1991، ص343). ومن هنا يمكن القول إنّ علاقة الأدب والشعر بالبيئة بأنّها علاقة قديمة أزلية تعكس علاقة الإنسان نفسه بالبيئة، فالإنسان منذ وجوده تفاعل مع الطبيعة واعتبرها مصدر إلهام وقوة وأسرار وأحزان وقدسية، الأمر الذي انعكس على الشعر (الجعبري، 2019)، الأمر الذي دفع عنترة إلى مشاركة البيئة الطبيعية في أحزانه فقال (الخوري، 1893، ص70):

تُرى هَذِهِ ريحُ أَرضِ الشَرَبَّه أَمِ المِسكُ هَبَّ مَعَ الريحِ هَبَّه
وَمِن دارِ عَبلَةَ نارٌ بَدَت أَمِ البَرقُ سَلَّ مِنَ الغَيمِ عَضبَه
أَعَبلَةُ قَد زادَ شَوقي وَما أَرى الدَهرَ يُدني إِلَيَّ الأَحِبَّه

وَكَم جَهدِ نائِبَةٍ قَد لَقيتُ لِأَجلِكِ يا بِنتَ عَمّي وَنَكبَه
فَلَو أَنَّ عَينَيكِ يَومَ اللِقاءِ تَرى مَوقِفي زِدتِ لي في المَحَبَّه
يُفيضُ سِناني دِماءَ النُحورِ وَرُمحي يَشُكُّ مَعَ الدَرعِ قَلبَه
وَأَفرَحُ بِالسَيفِ تَحتَ الغُبارِ إِذا ما ضَرَبتُ بِهِ أَلفَ ضَر

في هذه الأبيات يتكلم عنترة عن حالة الشوق الذي يعتريه لمن يهواها قلبه، ويتمنى رؤيتها لكن الأعراف والتقاليد الاجتماعية تمنعه، ويلجأ الشاعر إلى البيئة كي تشاركه أحزانه بالاتكاء على الطبيعة (الريح، أرض الشربة) فيحن إلى بيئة المحبوبة، فيخاطب نفسه وهو على فرسه: هل الريح التي تداعب وجهه هي نفس ريح أرض الشربة التي تداعب وجه حبيبته؟ وقد يبلغ الشوق عند عنترة مبلغًا جعله يتكئ على كل عناصر البيئة لتشاركه أحزانه وشوقه، مبلغًا جعله يرى دار عبلة والنار موقودة أمامه، فضلًا عن الاتكاء على البرق وشبّهه بالسيف في غمده ليصف شجاعته ورد فعله السريع تجاه المواقف، وكيف أنّ سيفه غطاه غبار المعركة المثار من خيول الفرسان، وهو يطيح بمن يلقاه أمامه في المعركة، ولم تكن بيئة الصحراء القاسية هي وحدها التي ساعدت على ازدهار شعر الطبيعة عند عنترة، بل حياة المجتمع الجاهلي والأعراف والتقاليد أسهمت في ازدهاره أيضًا، فعلاقة الشعراء بالبيئة علاقة متداخلة، فالشاعر يستقي من البيئة كل الألوان الشعرية فيكثر منها في الغزل وفي أشعار معينة، وحين تتداخل البيئة مع الشاعر تعطيه شكلاً معيناً (الجعبري، 2019). إنّ ذكر الرياح ملهم للشعراء عامة ولعنترة خاصة، نتيجة لعشقه للبيئة التي استلهم منها أفكاره وأحاسيسه، فقال (الخوري، 1893، ص134).

ريحَ الحِجازِ بِحَقِّ مَن أَنشاكِ رُدّي السَلامَ وَحَيِّ مَن حَيّاكِ
هُبّي عَسى وَجدي يَخِفُّ وَتَنطَفي نيرانُ أَشواقي بِبَردِ هَواكِ
يا ريحُ لَولا أَنَّ فيكِ بَقِيَّةً مِن طيبِ عَبلَةَ مُتُّ قَبلَ لِقاكِ

لا بُدّ من الإشارة إلى أنّ محفزات البيئة الإيكولوجية عند عنترة، هي محفزات بيئية نصية مفتوحة على أماكن خصبة للشاعر، فالشاعر لا يتكئ على الرياح بقصد المحاكاة النصية فقط، إنّما قصد إثراء تجربته الشعرية ومشاركته أحزانه وهمومه، فهو يقسم ويتكئ على: (ريح الحجاز بحق من أنشاكِ) أي الرياح الطيبة الباردة التي تهب من الحجاز بحق الذي خلقكِ وأنشاكِ أنْ تبلغي سلامي وتحيتي لعبلة وتطفئي نار الشوق واللوعة التي تشتعل بداخلي، فلم يكن وصف الرياح هنا وصفًا لظاهرة مناخية هيكلية عامة يكتفي بتسمية الأشياء، بل كان مقروناً بدلالات قصدية؛ وهو إثارة المتلقي ومشاركة الشاعر أحزانه وأشواقه ووسيط بين العاشق والمعشوق.

ومن ألفاظ الشاعر الأخرى التي زخرت بألفاظ البيئة –الريح–: قوله (الخوري، 1893، ص132)

بَردُ نَسيمِ الحِجازِ في السَحَرِ إِذا أَتاني بِريحِهِ العَطِرِ
أَلَذُّ عِندي مِمّا حَوَتهُ يَدي مِنَ اللَآلي وَالمالِ وَالبِدَرِ
وَمُلكُ كِسرى لا أَشتَهيهِ إِذا ما غابَ وَجهُ الحَبيبِ عَن نَظَري
سَقى الخِيامَ الَّتي نُصِبنَ عَلى شَرَبَّةِ الأُنسِ وابِلُ المِطَرِ
مَنازِلٌ تَطلُعُ البُدورُ بِها مُبَرقَعاتٍ بِظُلَمَةِ الشَعَرِ

فالمتمعّن في هذه الأبيات يلمس إلحاح الشاعر في الاتكاء على الرياح (نسيم الحجاز)، مما يدل على أنّ هذا الاتكاء ليس لمجرد ظاهرة طبيعية مناخية، بل أنّها ناقلة للحنين ووساطة بين العاشق والمعشوق لتصبح لغةً حسيةً وعنصرًا فاعلًا في اهتياج الذكريات التي تبعث الحزن وعلقت بقلب الشاعر، فضلًا عن أنّها هيّأت له تصوير الواقع البيئي الذي تعيش فيه المحبوبة ومكان إقامتها، وأنّ هذا النسيم عزيز عليه لأنه قادم من بيئة عبلة. لعلّ ألفاظ البيئة المتمثّلة (السحر، برد، نسيم، ريح، مطر، سقى، ظلمة، البدر) تُشعر المتلقي بمدلولاتها أنّ الريح حلّت بأرض مقفرة متناهية الجدب، وهو بذلك يستعمل أسلوب القاص لتصوير البيئة وتصوير الأحداث بما يتناسب مع نار اللوعة والشوق التي يعيشها الشاعر والتي لا تطفأ إلّا إذا اختلطت مع نسيم الحجاز، ثم لم يلبث أنْ أورد ألفاظًا جسّد من خلالها سبيل الحياة.

ونجد أنّ الاتكاء على ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر عنترة بن شداد لم يكن أمرًا عفويًا، بل قائمًا على دقة الاختيار، ومراعاة السياق الدلالي والنفسي للشاعر، فضلًا عن أنّه سخّر تشكيل الصور الشعرية وتحويلها إلى استعارة وجدانية، الأمر الذي يتيح للقارئ لمس حرارة الموقف وإدراك الأشياء المصوّرة من البيئة على هيئتها الحقيقية.

الخاتمة:

1. أنَّ الأثر النفسي للون الأسود برز بروزًا واضحًا في شعره، فتخلق له عنترة عالما محدودًا بأبعاده وتفاصيله من البيئة الإيكولوجية المحيطة به، لعله يخلصه من حالته النفسية بسبب التسقيط من قِبل المجتمع له، فالبيئة الطبيعية تعيد التوازن النفسي إليه، مما تشعره بالارتياح وإعطاء فرصة للتأمل والإبداع، فقد أولى الشاعر جل عنايته بتفريغ ما يجول في ذهنه من أفكار ومعانٍ وتجارب شعورية مر بها بمشاركة البيئة أحزانه.

2. اتضح للباحث مما فات أنّ الاتكاء على ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر عنترة بن شداد لم يكن أمرًا عفويًا، بل قائمًا على دقة الاختيار، ومراعاة السياق الدلالي والنفسي للشاعر، فضلًا عن أنّه سخر حواسه

الخمس لتشكيل الصور الشعرية وتحويلها إلى استعارة وجدانية، الأمر الذي يتيح للقارئ لمس حرارة الموقف وإدراك الأشياء المصورة من البيئة على هيئتها الحقيقية.

3. طغت ألفاظ البيئة الحيوانية على نصوص عنترة الشعرية، فكثيرًا ما نراه يشحن ألفاظه من البيئة الإيكولوجية الحيوانية ليضع بين يدي المتلقي ملامح حياة البيئة الصحراوية الخشنة الجافة التي عاشها بين رمال الصحراء وحرارة الشمس ولفح السموم، حتى غدت قرينة الهوية والذاكرة، ومن النقد الإيكولوجي تبيّن أنّ فهم النصوص لا يتحقق إلّا بوعي عميق ببيئتها الأصلية، إذ إنّ البيئة ليست خلفية خاملة، بل روحًا فاعلة تصوغ وجدان الشاعر، وتوجه عاطفته وتشكل صوره الشعرية.

4. أثبتت الدراسة أنّ البيئة الإيكولوجية تحولت في شعر عنترة من مكان إلى شعور، ومن جغرافيا إلى رمز للحب والهوى، فهي ليست أرضًا بعينها بل أصبحت مرادفًا لعبلة، وموضعًا لا ينفصل عن الذاكرة العاطفية، وهذا ما أثبتته الدراسة في أنّ البيئة تجاوزت إطارها الطبيعي لتصبح معادلًا للوجدان.

المصادر والمراجع:

– باشلار، غاستون، (2006)، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

– بومنجل، عبد الملك، (2023)، النقد البيئي الرؤية والتطبيق، دراسة تطبيقية لنماذج شعرية من شعر المدينة والريف الجزائري، مجلة دراسات، مج 12، العدد الأول.

– بلغليفي، نوال، وقوت سهام، (2015) البُعد الإيكولوجي في التخطيط العمراني بالمدينة الصحراوية (بلدية الزاوية العابدية أنموذجًا، دراسة ميدانية بمدينة تقرت)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي وتحولات المدينة الصحراوية.

– التبريزي، الخطيب، (1992)، شرح ديوان عنترة، ت: مجيد طراد، دار النشر العربي، بيروت، ط1.

– الجادر، محمود، (1979)، شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين دراسة تحليلية، طبع على نفقة جامعة بغداد.

– الجعبري، مُحَمَّد، (2019)، إلهام الطبيعة في الشعر والرواية، جريدة الوطن، 5/17.

– الجندي، علي، (1991)، في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة دار التراث، طبعة دار التراث الأول.

– درويش، أحمد، (1996)، في نقد الشعر الكلمة والمهجر، القاهرة، دار الشروق.

– ديوان عنترة بن شداد، (1893)، تح: خليل الخوري، مطبعة الآداب، بيروت.

– السيد، عبد المعطي، (1997)، الإيكولوجيا الاجتماعية مدخل لدراسة الإنسان والبيئة والمجتمع، القاهرة، ط1.

– الشيخ، كبير، (2021)، فلسفة المكان وعلاقتها بالاغتراب في نفسية الشاعر الجاهلي، مجلة النص، مج الثامن، ع الأول.

– الصالحي، سمية، (2022)، الشعر العربي وصوت البيئة قراءة في الأنساق الإيكولوجية للنص الشعري القديم، مجلة قبس للدراسات الإنسانية، مج 10، ع 1.

– الكاصد، حسين، (2020)، الفصيح والعامي مقتضى الحال ونسق الاتكاء، جريدة الصباح، 2020/11/15.

– الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، (ب.ت)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية